مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

الأصوات المُستحسَنة عند سيبويه

Sibawayh's recommended votes

د. عبد الناصر رمضان شيتاو
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية كلية اللغات - جامعة طرابلس
Naser52525@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الألكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

الأصوات المُستحسَنة عند سيبويه

Sibawayh's recommended votes

د. عبد الناصر رمضان شيتاو*

ملخص:

يتناول هذا البحث بالوصف والتحليل الصوتي الأصوات الستة التي وصفها سيبويه بأنها مُستحسَنة في قراءة القرآن الكرم وإنشاد الشعر، وهي تنوعات صوتية ثانوية (allophones) متفرعة عن الأصوات الأساسية (phonemes) في اللغة العربية (حروف المعجم). وهذه الأصوات هي: النون الخفية، وهمزة بين بين (المسهّلة)، والإمالة الشديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم.

يدرس الباحث كل صوت من هذه الأصوات في مبحث خاص، يبين فيه مخرج الصوت الأساسي وصفاته وكيفية نطقه، ثم يعرض بالشرح والتحليل عملية حدوث التنوع الصوتي المتفرع عنه، مستعينا بالأمثلة اللغوية والأشكال التوضيحية، مبرزا الأسباب الصوتية التي دعت إلى حدوثه، وبلوغه مرحلة التوافق الصوتي التي منحته درجة الاستحسان لدى الناطق والسامع حتى شاع استعماله في بيئته.

الكلمات المفتاحية: التحليل الصوتي – التنوع الصوتي – سيبويه.

Sibawayh's recommended votes

Abstract:

This research deals with phonetic description and analysis of the six sounds that Sibawayh described as desirable in reciting the Holy Qur'an and singing poetry. They are secondary phonetic variations (allophones) branching off from the basic sounds (phonemes) in the Arabic language (the letters of the dictionary). These sounds are: the hidden nūn, the hamza of bayn (al-māshalā), the severe inclination, the shen which is like the jīm, the sād which is like the zaī, and the alif of the tafkīm. The researcher studies each of these sounds in a special study, in which he explains the source of the basic sound, its characteristics, and how to pronounce it. Then he presents with explanation and analysis the process of the occurrence of the phonetic variation that branches out from it, using linguistic examples and illustrative forms, highlighting the phonetic reasons that led to its occurrence, and its reaching the stage of phonetic harmony that It gave it a degree of approval among the speaker and the listener until it became widely used in his environment.

***Keywords**: phonetic analysis - phonetic diversity - Sibawayh.*

مقدمة:

يتناول هذا البحث موضوعا مهما في دراسة الأصوات العربية، وهو الأصوات التي شهد إمام العربية سيبويه باستحسانها في قراءة القرآن الكريم وإنشاد الشعر، على الرغم من كونها تنوعات صوتية ثانوية متفرعة عن الأصوات الأساسية للغة العربية (حروف المعجم)، وهي ستة أصوات:

النون الخفية، وهمزة بين بين (المسهلة)، والإمالة الشديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم.

* دكتوراه اللسانيات
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية كلية اللغات - جامعة طرابلس
Naser52525@gmail.com

وتكمن أهمية الدراسة في تناول تلك الأصوات بالوصف والتحليل في ضوء علم الأصوات الحديث، وتهدف إلى إظهار حقيقتها الصوتية، وتعليل استحسانها.

ولست أزعم أنني السابق إلى تناول هذا الموضوع، فكتاب سيبويه هو ملاذ كل مجتهد في علوم العربية، وبغية كل باحث فيها، إلا أنني لم أقف على دراسة تعنى بوصف هذه الأصوات المستحسَنة وتحليلها وفق الدرس الصوتي الحديث، وبالصورة التي قدمتها.

ويشتمل البحث على تمهيد، وستة مباحث، وخاتمة. تناولت في التمهيد تقسيم أصوات اللغة من حيث وظيفتها في الكلام (أساسية وثانوية)، والتعريف بالأساسية منها (صامتة وصائتة) وما لها من رموز في المعجم العربي،ثم درست كل صوت من الأصوات الستة في مبحث خاص، مبينا قيمته الصوتية عند المتقدمين والمحدثين من علماء اللغة، وأوجزت في الخاتمة أهم نتائج البحث، ثم ذيلته بثبت المصادر والمراجع.

تمهيد:

تنقسم الأصوات اللغوية من حيث وظيفتها في الكلام إلى قسمين: أصوات أساسية، وأصوات ثانوية.

فأما الأصوات الأساسية، فهي التي يتغير بتغيرها المعنى، وتشمل الحروف والحركات، وهي ما تعرف عند علماء الغرب بالفونيمات (phonemes)،[1] **مثل** السين والصاد في كلمتي سار وصار، والفتحة والضمة في كلمتي كَتَبَ وكُتِبَ.

وأما الأصوات الثانوية، فهي تنوعات صوتية لا يتأثر المعنى بتغيرها، مثل الترقيق والتفخيم في اللام والراء، وإظهار النون أو إخفاؤها أو قلبها ميما، وإمالة الفتحة نحو الكسرة أو الضمة، وتسهيل الهمزة،وغير ذلك، وهي ما تسمى عند علماء الغرب بالألوفونات (allophones).[2]

ووفق هذا التقسيم فإن الأصوات الأساسية في اللغة العربية هي أربعة وثلاثون صوتا، منها ثمانية وعشرون صوتا صامتا (consonant) وستة صوائت (vowel)، فالصوامت الثمانية والعشرون هي ما تسمى بحروف الهجاء أو حروف المعجم، وهي الأصوات أو الحروف التي تتكون منها جذور الكلمات في المعجم العربي، تبدأ بالألف (الهمزة) وتنتهي بالياء. والمقصود بالواو والياء الواردين في هذه المجموعة هما الواو والياء اللينتان أو شبه الصائتين كما في صوت وولد وبيت ويد، لا الواو والياء الصائتين أو الحركتين الطويلتين كما في مسلمون ومسلمين.

وأما الصوائت الستة فهي الحركات القصيرة والطويلة، فالقصيرة هي الفتحة والضمة والكسرة، والطويلة هي ما يعرف بحروف المد (وهي الألف، والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها) أو هي ما يُشبع من تلك الحركات القصيرة، أو لنقل هي هذه الحركات مع مضاعفة زمن نطقها.

والحركات قصيرة وطويلة جميعها لا تبدأ بها الكلمة في المعجم العربي؛ لأن النظام المقطعي في اللغة العربية لا يبدأ بحركة، لكنها لا تقلّ أهمية عن باقي الأصوات الصامتة؛ لما لها من أثر في تغيير المعنى وإثراء ألفاظ المعجم وتنوعها، إلا أنها لم تحظ– ولا سيما القصيرة منها –بالمكانة التي حظيت بها الأصوات الصامتة في الألفباء العربية، إذ لم تُحسب كلها ضمن حروف المعجم، وما حُسب منها كالواو والياء كان مزدوج الدلالة، فكل واحد منهما يرمز إلى صوت صامت وآخر صائت.

وأما ألف المد فهي وإن شاركت الهمزة في اسمها (ألف)، فقد خُصت قديما برمز خاص بها، وهو الرمز (لا) وقد أسندت فيه إلى اللام؛ لأنها لا يبدأ بها، والصحيح أن تنطق (لا) كما تنطق (ما) لا كما كان ينطقها بعضنا خطأ (لام ألف)، وهو ما نبه إليه قديما العالم اللغوي أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 395هـ) حيث قال: " .. فقوله: لا بزنة ما، ويا، ولا تقل كما يقول المعلمون : لام ألف ".[3]

وبسبب وجود هذا الرمز (لا) مع باقي حروف المعجم عدها علماء العربية تسعة وعشرين حرفا،[4] منها خمسة وعشرون ترمز إلى أصوات صامتة، وصوتان مزدوجا الرمزية – كما أشرنا– وهما الواو والياء، وهذه الألف.

وفي مناهج التعليم الحديثة أُقصي رمز الألف (لا) أو (لام ألف) واكْتُفِي بعدّها ثمانية وعشرين حرفا، على أن تكون الألف المبتدَأُ بها (ا) رمزا للهمزة وألف المد معا.

وعلى الرغم من أن الأصوات هي أساس اللغة، وأن الحروف هي الرموز المصورة لتلك الأصوات، إلا أن الشائع عند القدامى، بل وعند كثير من المحدثين أيضا استعمال لفظ الحرف في الدلالة على الصوت.

موضوع البحث:

في هذا البحث سنعرض بالوصف والتحليل لما سماها سيبويه (ت 180هـ) الحروف المستحسنة، والمراد بها الأصوات المنطوقة غير التسعة والعشرين التي ذكر أنها أصل حروف العربية.[5] قال: "وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفية، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة".[6]

هذه الأصوات الستة تتفرع عن الأصوات الأساسية، فهي إذن تنوعات صوتية ثانوية (allophones) لا يتغير بتغيرها المعنى، لكنها – حسب وصفه – مستحسنة في قراءة القرآن، وفي الشعر، وفي الخطابة ونحو ذلك من مواطن الجد من القول، مع أن بعضها ليس من لغة قريش التي نزل أغلب القرآن بها،[7] والذي حسّنها – حسب رأيي – هو خروجها من المستوى اللهجي القبلي الضيق إلى

مستوى اللغة المختارة الفصيحة، وهي الأكثر استعمالا، والأقرب إلى ألْسِنة الجميع عند اختلاطهم، أو تباريهم في مجال اللغة والأدب.

ولنأتِ الآن إلى توضيح هذه الأصوات الستة وشرح حقيقتها الصوتية.

الصوت الأول: النون الخفيّة

وردت في كتاب سيبويه " الخفيفة" بالفاء بعد الياء،[8] ولعلها سميت كذلك عند بعض علمائنا القدامى،[9] والأصح أن تسمى الخفيّة كما قال أبوسعيد السيرافي (ت 325 هـ): " .. لأن التفسير يدل عليه "،[10] وقد يكون ما حدث من فعل النسّاخ، إذ المشهور في النحو العربي أن النون الخفيفة هي نون التوكيد المبنية على السكون، وإنما توصف بالخفة لتمييزها عن نون التوكيد الثقيلة المشددة المبنية على الفتح، كما في قولك: لا تأْكُلَنْ، و لا تأْكُلَنَّ، وأما ما أورده سيبويه هنا فهي النون الخفية.

والإخفاء هو أحد الوجوه الصوتية لصوت النون، وهو حالة وسط ما بين الإظهار والإدغام، وقبل أن نبيّن حقيقة هذا الوجه، من المفيد أن نذكر في عجالة بماهية صوت النون بوصفه أسرة صوتية أو وحدة صوتية (phoneme) وما ينضوي تحتها من وجوه أخرى.

فنطق النون في اللغة العربية يندرج في أربعة أوجه رئيسة، وهي: الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء.

فالإظهار هو ما يُنطق فيه صوت النون نطقا طبيعيا من مخرجه المعتاد وهو اللثة، وذلك بارتكاز ذلق اللسان عليها مانعا خروج الهواء من الفم برهة من الزمن تلتصق فيها اللهاة بمؤخرة اللسان؛ لتفتح الممر الأنفي للهواء الصاعد من الحنجرة محمّلا بذبذبة الوترين الصوتيين المرتجفين، فيمر من الخياشيم مكتسبا منها تلك الغنة الموصوف بها.

صوت النون:

فصوت النون إذن صوت لثوي مجهور منفتح أغن، وهذه الغنة جعلته في موضع متوسط ما بين الشدة والرخاوة، أو الانفجار والاحتكاك،[11] فهو ليس صوتا رخوا؛ لأن الهواء قد مُنع في مخرجه منعا تاما عند النطق، وليس صوتا شديدا؛ لأن الهواء لم يبق مضغوطا بل تسرب إلى الخارج مع الأنف؛ ولذا

اكتسب صفة الغنة، فهي الصوت الناتج عن جريان الهواء بالخيشوم، وهي ملازمة لصوتي النون والميم.[12]

هذه هي النون في صورتها الصوتية الأولى، أو في وجهها الصوتي الأبرز وهو **الإظهار**، الذي تُنطق فيه عندما تعقبها حركة (كما في: نَسيج، ونُباركُ، ونِمتُ)، أو واحدٌ من ستة أصوات صامتة، وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، سواء أكانت هذه النون صوتا ذا وظيفة أساسية في بنية الكلمة وله رمز كتابي، وهو ما يسمى النون الساكنة، أم كانت صوتا تزيينيا ذا وظيفة ثانوية وليس له رمز كتابي، وهو ما يُعرف بالتنوين كما في هذه المواضع من كتاب الله العزيز، وهي: {ينْأون} الأنعام 26، و{جرفٍ هارٍ} التوبة 109، و{أنْعَمتَ} الفاتحة 7، و{غفورٌ حليمٌ} البقرة 225، و{مِنْ غفورٍ} فصلت 32، {عليماً خبيراً} النساء 35.

وأما الوجه الثاني فهو الإدغام، وهو إدخال صوت النون الساكنة والتنوين في بعض ما يليهما من أصوات، وهو نوعان: تام، وناقص. فالتام هو الذي يفنى فيه صوت النون في الصوت الواقع بعده دونما يبقى منه أثر، ويكون ذلك مع صوتي الراء واللام؛ لأنهما من مخرج النون نفسه وهو اللثة، كما فيقوله تعالى: {مِن رّبك} النبأ 36،و{محمدُ رّسولُ الله} الفتح 29، و{مَن لّم} الحجرات 11، و{هدى لّلمتقين} البقرة 2.

مِنْ رَبك (min rabbika) = مـرّبّك (mirrabbika)

مَنْ لَم (man lam) = مَلّم (mallal)

والناقص هو الذي لا تنطق فيه النون الساكنة من مخرجها المعتاد (اللثة) ولكن تسمع فيه الغُنّة وهي صفتها، ويكون ذلك إذا أعقبها واحد من أربعة أصوات، وهي: الميم، والنون، والواو، والياء،[13] وقد جمعوها في كلمة " ينمو ". ويحدث هذا الإدغام بأن يذهب اللسان مباشرة إلى مخارج هذه الأصوات مع سماح اللهاة للهواء بالخروج مع الأنف في الوقت نفسه؛ فنسمع معها صوت الغنة، نحو قوله تعالى:{فمن يعمل} الأنبياء 94، والزلزلة 7 و{.. وبرقٌ يّجعلون..} البقرة 19، و{من وّاقٍ} الرعد 34، وغافر 21، و{.. غشاوةٌ ولهم ..}البقرة 7، و{من ماء ..} محمد 15، و{ماءً مباركا} ق 9، و{من نعمةٍ} النحل 53، و{حطّةٌ نّغفر..} البقرة 58. ولا يتضح ذلك جليا إلا مشافهة.

مِنْ واقٍ (min waaqen) = مِـوّاقٍ (miwwaaqen)

مِنْ ماءٍ (in□min maa) = مِن مّاءٍ (mimmaa□in)[14]

وأما الوجه الثالث لصوت النون فهو الإقلاب، وهو أن تقلب النون الساكنة (والتنوين) ميما[15] إذا أعقبها صوت الباء، ولم يحدث إدغام بين هاذين الصوتين؛ لأنهما ليسا متقاربين مخرجا،[16] وإنما حدث الإقلاب؛ لأن صوت الميم يُعَدّ حلقة وصل بين صوتي النون والباء، فهي تشارك النون في صفة الغنة،

وتشارك الباء في المخرج (شفهي)، والأصوات الثلاثة مجهورة، فلو أُظهرتْ النون هنا لثقل نطقها على الناطق والسامع؛ ولذا كان الأيسر أن تُقلب النون ميما.

ومن أمثلة ورودها في القرآن الكريم قوله تعالى: {أن بورك} النمل 8، و{أَنْبِئْهُم} البقرة 33، و{جُدَدٌ بيضٌ} فاطر 27.

أَنْبِئْهُم (anbi hum) = أمْبِئْهُم (ambi hum)

ولنعد الآن إلى ما يهمنا أكثر في هذه الورقة من أوجه صوت النون، وهو الوجه الرابع (النون الخفية)، وهي التي عدها سيبويه – كما ذكرنا مسبقا – من الأصوات المستحسنة.

ويكون الإخفاء مع صوت النون الساكنة (والتنوين) بأن لا يذهب اللسان إلى مخرج النون – وهو اللثة – بل بملامسة اللسان أو اقترابه من مخرج الصوت الواقع بعدها، مع بقاء الغنة الناتجة عن سماح اللهاة للهواء بالمرور في مجرى الأنف وهو ما يسمى بالخياشيم. والفرق بينه وبين الإدغام أنه لا يكون فيه تشديد،[17] كما هو الحال في الإدغام، وهو يختلف أيضا عن الإقلاب – وإن اشتركا في عدم التشديد – في أنه لم يُؤت فيه بصوت آخر، بل " يُخفى الحرف في نفسه لا في غيره "،[18] ويحدث ذلك إذا أعقب النونَ واحد من خمسة عشر صوتا، هي أصوات باقي حروف المعجم التي لم تقع بعد النون في الإظهار والإدغام والإقلاب، وهي:

التاء، والثاء، والجيم، والدال، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والفاء، والقاف، والكاف.

وقد جمعت في أوائل كلمات هذا البيت: [19]

صف ذا ثنا جودَ شخص قد سما كرما ضع ظالما زد تقى دُمْ طالبا فترى

والملاحظ أن مخارج هذه الأصوات جميعها في الفم، موزعة من أقصاه إلى أدناه على النحو التالي:اللهاة : القاف، والطبق : الكاف، والغار : الجيم والشين، واللثة مع الأسنان : التاء والطاء والدال والضاد والسين والصاد والزاي، والأسنان: الثاء والذال والظاء، والشفتان : الفاء.

قال سيبويه: " وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم".[20]

ومما قُرِئ به في القرآن الكريم من هذا الوجه قوله تعالى:

{مِن قرار} إبراهيم 26، و{فعَجَبٌ قولهم} الرعد 5، و{مِن، كلّ} البقرة 164، و{قريةً كانت} النحل 112، و{مِن شرّ} الفلق 3، و{عن نفسٍ شيئا} البقرة 48، و{ أَنْ صدّوكم } المائدة 2، و{ صفّاً صفّاً } الفجر 22، و{مِن زوالٍ} إبراهيم 44، و{متاعٍ زَبَدٌ} الرعد 17، و{فمن ثَقُلت} المؤمنون 102، و{جهاراً * ثُم} نوح 8، 9، و{مَن فواقٍ} ص 15، و{ماءً فسالت} الرعد 17.

وليس إخفاء صوت النون الساكنة (والتنوين) في هذا الوجه على درجة واحدة مع جميع الأصوات، بل هو على درجات مختلفة، بحسب قرب مخارج الأصوات الخمسة عشر وبُعدها عن مخرج النون.[21]

وهذا اللون من النطق تتجمل به القراءة، وفي استعماله والأخذ به في اللغة دليل على كمال فصاحة المتكلم، وحُسْنِ أدائه اللغوي، فهو ليس كالإدغام أو الإقلاب إذ هما مما قد يُغلَبُ عليه اللسان، وفي تركه صعوبة وتكلُّف يلحظه السامع، ويكون دليلا على عِيّه، وهو مما سماه علماؤنا باللحن الخفي، أمّا الإخفاء ففي الأخذ به حُسْنٌ وجمال، وهو دليل على إبداع المتكلم، وأخذه بزمام اللغة، وإلمامه بدقائقها. ويبدو لي أن هذا ما دعا سيبويه على وصف الإخفاء بالاستحسان. والله أعلم.

الصوت الثاني: " الهمزة بين بين "[22]

الهمزة صوت أساسي في اللغة العربية، يتغيّر بتغيره المعنى، ويقع في أول الكلمة مثل: أخذ، ووسطها مثل: سأل، وآخرها مثل: بدأ. وهو من سمات اللغات السامية، بخلاف غيرها من اللغات التي لا تتجاوز الهمزة فيها أن تكون بادئة فقط.

ولم يلقَ صوت من أصوات العربية من الاختلاف حول اسمه ورسمه ونطقه ما لقيه هذا الصوت؛ وذلك بسبب ما اعتراه قديما من تغيّر في اللغات الساميّة بعامّة، وفي العربية على وجه الخصوص، وهو ما أدّى إلى تنوّع رسمه في بدايات تدوين الخط العربي.

والهمزة من الأصوات المختلف فيها بين القدامى والمحدَثين من حيث مخرجها وصفاتها، فهي عند القدامى تخرج من الحلق وتوصف بالجهر،[23] وعند المحدثين مخرجها من الحنجرة من فتحة المزمار الواقعة ما بين الوترين

الصوتيين، وأكدوا تجريبيا عدم اتصافها بالجهر، وعدّها بعضهم مهموسة؛ لعدم سماع صوت الجهر عند نطقها، و رأى آخرون أنها لا مجهورة ولا مهموسة؛ لأن الوترين الصوتيين معها يتخذان وضعا مختلفا عن وضعهما مع الجهر والهمس،[24] وهو انطباقهما انطباقا تامّا بحيث لا يحدث فيهما اهتزاز ولا يخرج الهواء من بينهما زمن النطق.

وللهمزة أربعة أوجه نطقية هي:

التحقيق، والتسهيل " بين بين "، والإبدال، والحذف (وهو الإسقاط دون عوض).

فالوجه الأول هو المراد عند إطلاق لفظ الهمز، وهو ما شاع استعماله في اللغة الفصحى وقراءة القرآن، وكيفيته أن ينطق صوت الهمزة نطقا طبيعيا من مخرجه المعتاد، وإعطائه صفاته اللازمة، وهو ما يسميه علماء العربية بالإشباع. نقل ابن منظور (ت 911هـ) عن أبي زيد الأنصاري (ت 215هـ) قوله: "فالتحقيق منه أن تعطي الهمزةَ حقها من الإشباع"،[25] وفي التهذيب " فالتحقيق منه أن تعطي الهمزة

حقها من الإشباع، فإذا أردت أن تعرف إشباع الهمزة فاجعل العين في موضعها، كقولك من الخبء: قد خبّأتُ لك، بوزن " خبّعتُ، وقرأتُ بوزن " قرعتُ.. ".[26]

والوجه الثاني (التسهيل بين بين) هو ما نودّ دراسته هنا.

والوجه الثالث (الإبدال)، وهو عند القدامى أن يبدل بالهمزة حرف من جنس حركة ما قبلها.[27] ويفسره المحدثون بإسقاط الهمزة والتعويض عنها بإطالة زمن الحركة الواقعة قبلها، فتتحول إلى صائت طويل بحسب جنسها، وهو عادة ما يكون في الهمزة غير المتبوعة بحركة، أي؛ الهمزة الساكنة، نحو: راس من رأس، وذيب من ذئب، وبوس من بؤس.

ر َ ء س ـــــــــــــ ر ا س

r a a s ـــــــــــــ r a s

وأما الوجه الرابع (الحذف) فهو إسقاط الهمزة دون عوض، وهو ما عبّر عنه القدامى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها، وذلك إذا كانت متحركة وقبلها ساكن،[28] وهو في حقيقته الصوتية إسقاط الهمزة نطقا دون التعويض عنها بشيء مع بقاء حركتها، فتُلاصق الصوتَ الواقع قبلها، نحو: يرْأَى = يرى، واسْأَل = سَل، و قدْ أفلح = قدَفلح .....وغيرها.

والوجه المستحسن عند سيبويه من هذه الوجوه هو الوجه الثاني (الهمزة المسهلة) كما ذكرنا، وتسمى أيضا الهمزة المخففة، وهمزة بين بين، وهي في حقيقتها تغيُّرُ صوت الهمزة إلى صوت آخر، قال سيبويه: " .. وإنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف ".[29] فالهمزة من المنظور الصوتي لا تكون إلا وهي محققة، وأما ما تؤول إليه بالتخفيف فهي أصوات أخرى تحل محلها.

ومعنى التسهيل أو التخفيف هنا أنْ نَفُكّ شدة الهمز الناشئة عن قفل الوترين الصوتيين؛ فيتسرب الهواء المضغوط خلفهما، ويفقد بذلك صفة الشدة أو الانفجار، (plosive)، ويكتسب صفة الجهر (voicing)، فهو إذن صوت حنجري رخو – أو متوسط – مجهور.

والذي جعلنا نقول إنه متوسط بين الشدة والرخاوة، أن ما يحدث في هذا الصوت هو سقوط الهمزة والتقاء حركتها بحركة ما قبلها، وهو ما يسميه علماء الغرب (hiatus)، ومعناه أن تلتقي حركتان قصيرتان دون أن يتحولا إلى صوت علة مزدوج (diphthongs)، وتتحول فيه إحدى الحركتين إلى نصف حركة (semi vowel). ولا يتحقق هذا الالتقاء في العربية إلا بإحداث فاصل قصير بين الحركتين، وذلك بإعاقة مجرى الهواء إعاقة خفيفة في فتحة المزمار، وهو ما عبّر عنه الدكتور تمام حسان بالخفقة الصدرية،[30] إذ يشعر الناطق – والسامع أيضا – بصوت في الحنجرة يشبه الهمزة وليس بهمزة.

ويصف الدكتور إبراهيم أنيس هذا الصوت بقوله: " ..... أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفا علميا مؤكَّدا، وإذا صح النطق الذي سمعتُه من أفواه المعاصرين من

القرّاء، تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام، تاركة حركة وراءها، فالذي نسمعه حينئذٍ لا يمتّ إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت ليّن قصير، يسمى عادة حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة ". [31] والمقصود بذلك أنها ليست همزة من الناحية الصوتية المحضة أو الفونيتيكية، أما من الناحية الوظيفية أو الفونولوجية فهي وجه من وجوه الهمزة.

سَ ءِ مَ _____ سَ ِ مَ _____سَ * م َ [32]

s a * i m a_____ s a i m a _____s a i m a

وقد أدرك علماء العربية قديما أن هذا الصوت ليس همزة خالصة ولا هو حركة خالصة ولهذا سمَّوه " بين بين " أي بين الهمزة وحركتها أو الحرف الذي منه حركتها – كما في تعبيرهم – . قال سيبويه (ت 180 هـ) في تسهيل الهمزة المفتوحة بعد فتح :" .... فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققة ".[33] وقال ابن جني (ت 392 هـ):" ومعنى قول سيبويه "بين بين"، أي: هي ضعيفة ليس لها تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذي منه حركته ".[34] لكن ذلك لا يظهر في الكتابة ولا يؤثر في الوزن؛ لأنه يأخذ حكم الهمزة المحققة.[35]

ولا يكون تسهيل الهمزة" بين بين " في أوّل الكلام؛ لأن المقطع الصوتي (syllable) في اللغة العربية لا يبدأ بحركة (v) ولا بصامتين (c + c)، بل بصامت تتلوه حركة (c+ v)،[36] والتسهيل – كما قلنا – يعني إسقاط الصامت وإبقاء الحركة.

ويُعدُّ ترك تحقيق الهمزة في صوره المتعددة سمة بارزة في لهجة الحجازيين ومن جاورهم، وتسهيلها " بين بين " هو الأصل عندهم. قال أبو زيد الأنصاري (ت 215 هـ): " أهل الحجاز وهديل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون "،[37] أي؛ لا يحققون الهمزة. قال سيبويه:" ... وذلك قولك: سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم ".[38]

ولا يقع هذا الوجه (بين بين) في الهمزة الساكنة، سواء أكانت مفردة أم مجتمعة مع غيرها؛ لأنه – كما أسلفنا – ناتج عن التقاء حركة الهمزة وحركة ما قبلها، وينتفي هذا إذا كانت الهمزة ساكنة.

وكما ذكر سيبويه أن هذا الصوت مُستحسَن في قراءة القرآن، فقد شاع في القراءات القرآنية المتواترة التي يُنسب إلى أصحابها أو بعض رواتهم ترك تحقيق الهمز، كقراءة ابن كثير المكي (ت 120 هـ)، وأبي جعفر المدني (ت 130 هـ)، و وأبي عمرو بن العلاء البصري (ت 154 هـ)، ونافع المدني (ت 169هـ).[39]

ويكون تسهيل الهمزة في ثلاث صور صوتية قائمة على الحركات الثلاث(الفتحة والضمة والكسرة)، وتقع – كما أوردها سيبويه– في سبعة أنواع،[40] ذكر أمثلة لبعضها ولم يذكر لأخرى.

وسأعرض فيما يلي لهذه الأنواع جميعها أمثلة من عموم اللغة ومما قرئ بتسهيله في القرآن الكريم، وهي:

1 – الهمزة مفتوحة وقبلها فتحة، نحو: سَأَلَ ـــــــ سَ*َ لَ. sa□ala ـــــــ asa *al

{أأنذرتَهم}[41] ـــــــ أَ*نذرتَهم□ana□d artahum[42] ـــــــ □a*andaartahum

2 –الهمزة مكسورة وقبلها فتحة، نحو: سَئِمَ ـــــــ سَ*ِ مَ. sa□ima ـــــــ sa *ima

{ أَإِ نَّكُمْ }[43] ـــــــ أَ* نَّكُمْ. □a□innakum ـــــــ □a*innakum

3 – الهمزة مضمومة وقبلها فتحة، نحو: لَـــؤُمَ ـــــــ لَ *ُ مَ. la□u ma ـــــــ la*uma

{ أَ ءُنْزِلَ }[44] ـــــــ أَ*ُنْزِلَ. a□unzila□ ـــــــ a□unzila□ ـــــــ a*unzila□

4 –الهمزة مكسورة وقبلها كسرة، نحو: مِن عندِ إبِلِك ـــ مِن عندِ *بِلِك. indi□ibilik□min ـــ indi*ibilikmin□. [45] وليس لها مثل من القرآن الكريم.

5 – الهمزة مكسورة وقبلها ضمة، نحو: مَرتَعُ إبِلِك ـــــ مرتعُ* بِلِك. marta□u□ibilik ـــ marta□u*ibilik.

{الملؤ إنّي}[46] ـــــــ الملؤ *نّي. innii□u□almal□ ـــــــ almal u*innii□□

6 – الهمزة مضمومة وقبلها ضمة، نحو: درهمُ أُختك ـــــ dirhamu□uxtika[47] ـــــ dirhamu *xutika

{أولياءُ أُولئك}[48] ـــــ أَولياءُ *ُلئِك ika□ulaa□u□awliyaa ـــــ □ ulaa □ikaawliyaa*u □

7 – الهمزة مضمومة وقبلها كسرة، نحو: من عندِ أُمّك ـــــ من عندِ *ُمّك.

min□indi□ummika ـــــ min□indi *ummika. ولم تثبت الرواية القرآنية القراءة بالتسهيل في هذه الصورة.

والذي بدا لي بعد التمعّن في كيفية نطق الهمزة المسهلة " بين بين "، أن استحسان هذا الصوت في اللغة الفصيحة– كما ذكر سيبويه – يكمن في تفرُّده عن وجوه الهمز الأخرى، وأن إجادة نطقه– كما ينبغي أن يُنطق – دليل على استعمال اللغة في أرقى منازلها، فتحقيق الهمزة أو إبدالها أو حذفها أمر يسير على كل من أراد ذلك، أما تسهيلها " بين بين " فلا يجيده إلا من أخذ بناصية اللغة الفصحى وكان له دربة في استعمالها.

الصوت الثالث: " الألف التي تمال إمالة شديدة " [49]

الألف هي فتحة طويلة، أو فتحة مشبعة، فلا فرق بين الفتحة والألف من الناحية الصوتية إلا في الزمن، فالألف تستحق من الزمن ضعف ما تستحقه الفتحة.

ومن التنوعات الصوتية للفتحة إمالتها نحو الكسرة، ويتحقق ذلك بارتفاع مقدمة اللسان من وضعها في قاع الفم عند نطق الفتحة نحو موضع الكسرة في سقف الفم، وهذا التحول أو الارتفاع هو ما يُسمى الإمالة، وهي نوعان: إمالة صغرى (أو متوسطة)، وإمالة كبرى (أو شديدة)، ويكمن الفرق بينهما

في مقدار ارتفاع مقدمة اللسان ما بين الفتحة والكسرة، فإذا كان الارتفاع قليلا، أي؛ أقرب إلى الفتحة، فهو النوع الأول، وإذا كان كثيرا، أي؛ أقرب إلى الكسرة فهو النوع الثاني.

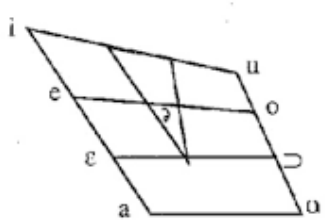

e= الإمالة الكبرى على مقياس الصوائت لداني الجونز.

والظاهر أن الذي أراده سيبويه هو النوع الثاني، إذ صرّح بأنها إمالة شديدة،[50] وهي التي تسمى أيضا (المحضة) و(الإضجاع)، و(البطح)، و(الكسر).[51] ومهارة الناطق بهذه الإمالة تكمن في إعطائها حقها من النطق، بحيث لا تُسمع منه كسرة أو ياء، ولا إمالة صغرى بل هي في حال بينهما، وهذا مما لا يقدر عليه إلا مَن نال لسانه دربة طويلة على نطقه، فإذا تمكّن منه بدا حُسنُه في قراءته، أو إنشاده وأدائه. قال ابن الجزري (ت 833هـ): "والإمالة الشديدة يُجتنبُ معها القلب الخالص والإشباعُ المُبَالغ فيه ".[52] أي؛ بإحداث تقريب بين صوتي الفتحة والكسرة مع الميل نحو الكسرة أكثر، شأنها في ذلك كإشمام الصاد زايا إذا تلتها دال في مثل: " مَصْدَر ". قال سيبويه: " الألف تمالُ إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابد، وعالم، ومساجد، ومفاتيح .... إنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي ".[53] وذكر ابن جني (ت 392هـ) أنها " وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت ".[54] أي لإحداث تناسب وتوافق صوتي بين صوتي الفتحة والكسرة، وهو ما سمّاه ابن يعيش (ت 643 هـ) ضربا من التشاكل.[55]

ويكمن هذا التوافق والانسجام في الجمع بين هذين الصوتين المتناقضين، أو المتباعدين وهما الفتح والكسر؛ لأن الإمالة تقرّب بينهما بارتفاع مقدمة 5اللسان عن وضعها مع الفتح نحو الكسر، ومع هذا الارتفاع يضيق مجرى الهواء قليلا؛ فيفقد الفتح بذلك صفة التفخيم التي اكتسبها بسبب اتساع مجرى الهواء،[56] ويكتسب عوضا عنها بعض الرقة التي تقربه من الكسر؛ فتمزج بذلك الإمالة بين صوتي الفتح والكسر في آن واحد، فيصيران متقاربين متوافقين بعد أن كانا متباعدين متنافرين.

وهذا التمازج في الإمالة– إضافةً إلى ما يوفره من جهد ووقت – يضفي على الصوت جمالا وبهاء جعله مستحسنا في قراءة القرآن، والأشعار، وغيرها من فصيح الكلام كما ذكر سيبويه، ولعلها بذلك قد شاع استعمالها آنذاك ولم تبق على السياق اللهجي الضيق لقبائل نجد في وسط الجزيرة العربية من تميم وأسد وتغلب وطيء وبكر وقيس.[57]

وعلى الرغم من وضوح آلية نطق الإمالة،وهي بارتفاع مقدمة اللسان نحو سقف الفم، إلا أن بعض علماء التراث يذكرون عكس ذلك، إذ يرون أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة،[58] لذا عللوا لإحداث الإمالة بأن في الانحدار خفة على اللسان، وهذا يخالف الواقع كما أشرنا؛ لأن اللسان يرتفع مع الإمالة وينخفض مع الفتح، ولعل في حكمهم أثرا من وضع الحركات على الحروف في الرسم.

وقد قرئ بالإمالة بنوعيها – كما قرئ بالفتح – في القراءات القرآنية المتواترة، ولاسيما في قراءة عاصم بن أبي النجود (ت 128 هـ) في غير رواية حفص (ت 180 هـ)، وقراءة أبي عمرو بن العلاء (ت154 هـ)، وقراءة حمزة بن حبيب (ت 156 هـ)، وقراءة نافع المدني (ت 169هـ) من رواية ورش (عثمان بن سعيد المصري ت 197 هـ)، وقراءة علي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ).[59]

وتطّرد الإمالة عند المميلين من القراء فيما كثرت فيه أسباب الإمالة، مثل ما اجتمعت في كسرتان، كما في قوله تعالى: {وانظر إلى حمارك،[60] أو الكسرة والأصل اليائي للألف، نحو قوله تعالى: {ولا تقربوا الزنى}،[61] وفيما كانت فيه الراء مكسورة بعد ألف، نحو قوله تعالى:{ أولئك لهم عقبى الدارِ}،[62] وفي اللف المنقلبة عن ياء إذا وقعت بعد راء، نحو قوله جلّ شأنه: { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة}،[63] بل إن القرّاء لم يعتدّوا بموانع الإمالة، نحو إمالة الألف التي أصلها واو، أو ما جاور حروف الاستعلاء المجموعة في قولهم: (قظ خص ضغط) التي عُدّت من موانع الإمالة على المشهور،[64] وذلك فيما تقوى فيه أسباب الإمالة.[65]

الصوت الرابع: " الشين التي كالجيم "[66]

الشين والجيم صوتان غاريان، يخرجان من وسط الحنك الأعلى، فأما الشين فهي صوت رخو مهموس متفش، باتفاق المتقدمين والمحدثين من العلماء،[67] وأما الجيم فهي عند الفريقين صوت مجهور، لكنها عند المتقدمين صوت شديد،[68] وعند المحدثين" صوت مركّب الجزء الأول منه صوت قريب من الدال، والثاني صوت كالجيم الشامية. ولكنهما يكونان وحدة واحدة ".[69]

صوت الشين – صوت الجيم

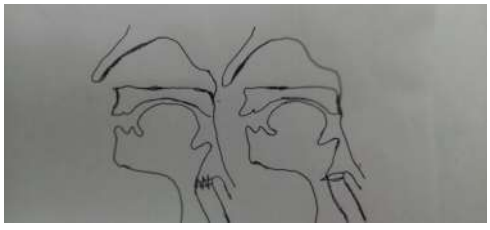

والصورة النطقية لهذا الصوت (الشين التي كالجيم) هي أن تُنطق الشينُ مجهورة فتكون كالجيم الرخوة التي تسمى الجيم الشامية،[70] وهي صورة الجيم في ليبيا ودول المغرب العربي أيضا.

وتُعدّ صورة الشين هذهُ تنوعا صوتيا لها allophone، وقد سماها سيبويه بـ" الشين التي كالجيم" ولم يقل إن الشين أُبدلت جيما؛ تفريقا بينها وبين الجيم الموصوفة عنده بالشِّدة،التي يحرص قرّاء القرآن الكريم على أدائها في ألفاظه، ومازالت تُنطق كذلك في لهجة العراق وبعض دول الخليج العربي.

ولم يعطنا سيبويه مثالا لهذه الصورة المُستحسنة لصوت الشين، وقد مثّل لها الزمخشري (ت 538هـ)، وابن يعيش (ت 643هـ)، وابن عصفور (ت 669 هـ) بكلمة " أشدق " تُنطق أجدق.[71]

أَ شْدَ قـــــــأَ جْ دَ ق

ومنها ما نسمعه اليوم في لهجة أهل القاهرة بمصر في مثل:

أشجار ـــــــ أجّار

أشغال ـــــــ أجغال

والذي أدى إلى جهر الشين وتحولها إلى جيم أو ما يشبهها في هذه الصورة؛ هو وقوعها قبل صوت مجهور، فحدث ما يعرف بالمماثلة الصوتية (Assimilation) وهي عملية التأثير والتأثر التي تحدث بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات توخيا للانسجام الصوتي؛ وذلك بأن يحدث بين الصوتين المختلفين شد وجذب حتى يتغلب أحدهما على الآخر في تماثل معه في كل صفاته أو في بعضها. وهنا جذب الصوت الثاني وهو الدال (المجهور) الصوت الأول وهو الشين (المهموسة) فصار مجهورا مثله. وهذا النوع من التأثير يسمى التأثير المدبر.

الصوت الخامس: " الصاد التي تكون كالزاي".[72]

صوتا الصاد والزاي يشتركان في المحرج، وهو اللثة مع الأسنان السفلى، كما أنهما يتصفان بالرخاوة، إلا أنهما يختلفان في الجهر والهمس، والانفتاح والإطباق. فالصاد مهموسة مطبقة، والزاي مجهورة منفتحة.

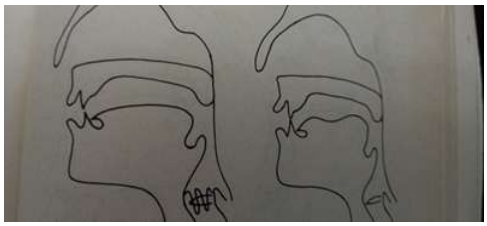

صوت الصاد صوت الزاي

إذا وقع بعد صوت الصاد صوت شديد مجهور تأثّر به، فإذا كان الصوت الثاني من مخرج الصاد أو قريبا منه صعُب نطقُ الصوتين متتاليين، وصار لزاما . لتيسير عملية النطق . إحداث توافق صوتي بينهما؛ لأن نطقهما دون ذلك يشبه مشي المقيّد كما يقول المتقدمون من علماء اللغة.

وهذا ما حدث بين صوتي الصاد والدال، فالدال صوت شديد مجهور، وهو من مخرج الصاد أيضا " لثوي أسناني "، فلما تجاورا ولم تفصل بينها حركة، أي؛ كانت الصاد ساكنة، أثّرت الدال بجهرها القوي في همس الصاد، فصارت صادا مجهورة، ولما اكتسبت هذه الصفة وافقت صوت الزاي في المخرج وصفتي الجهر والرخاوة، وبقيت معها صفة الإطباق، فأصبح المنطوق صوتا لثويا أسنانيا رخوا مجهورا مطبقا، وهويؤدّي وظيفة الصاد؛ لأنه تنوع صوتي له (allophone allophone).

وقد قال سيبويه: " الصاد التي تكون كالزاي "،[73] ولم يقل إن الصاد أُبدلت زايا؛ لأنها حقا ليست زايا محضة، بل هي زاي مطبقة، تراجع اللسان عند نطقها ناحية الطبق وتقعّر وسطه؛ فاتسع الفراغ الفموي – ما بين اللسان وسقف الفم – كما هو الحال مع الأصوات المطبقة الأربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء).

ولم يعطنا سيبويه هنا مثالا لهذا الصوت، لكنه ذكر ذلك في موضع آخر عند تناوله موضوع الإمالة، حيث أشار إلى أنه يطلب التوافق الصوتي الناتج عن تقريب الأصوات بعضها من بعض، وأن ذلك يحدث في الإمالة كما يحدث في الإدغام. قال: " ... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حيث قالوا : صَدر، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقرّبها من الزاي والصاد التماسَ الخفة؛ لأن الصاد قريبة من الدال، فقرّبها من أشبه الحروف من موضعها بالدال. وبيان ذلك في الإدغام ".[74]

وقد يكون في قوله " صَدر " تحريفٌ وقع فيه النساخ، والأصل " مصْدر "؛ لأن الصاد في " صَدر " متحركة، وإنما يكون الإدغام أكثر وقوعا وأدعى للحدوث وأبينَ فيما كانت الصاد فيه ساكنة؛ لأن الحركة هنا تقلل من عملية التأثير والتأثر بين الصاد والزاي.

ويدعم القولَ بحدوث تحريف في هذا الموضع أن من علماء العربية من نقل كلام سيبويه وذكر في نقله كلمة" مصدر "، ومنهم ابن يعيش(ت 643)، قال – بعد حديثه عن إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء – : "كأنهم فعلوا ذلك هنا كما فعلوا في الإدغام، و قربوا بعضها من بعض نحو قولك في مصْدر: مزدر، فقربوا الصاد من صوت الزاي ليتناسب الصوتان ولا يتنافرا، وذلك لأن الصاد مقاربة الدال في المخرج وبينهما مع ذلك تناف وتباين في الأحوال والكيفية ...".[75] وقد نبه علماء القراءات أيضا إلى ضرورة المحافظة على صوت الصاد الساكنة إذا جاءت قبل دال، وقد قرأ الإمامان حمزة بن حبيب الكوفي (ت 156 هـ) وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ) بمخالطة لفظ الصاد الساكنة بلفظ الزي في نحو: " يصْدر " و" تصْدية " و" قصْد السبيل".[76]

لكنْ، وإن كان الإدغام أولَى وأبينَ مع الصاد الساكنة في مصْدر منها في صَدر، إلا أن علماء العربية والقراءات ذكروا لنا أمثلة أخرى لنطق الصاد زايا مفخمة وهي متحركة أيضا، منها قول العرب: " لم يُحرم مَن فُزِدَ له؛[77] أي فُصِد له،بتأثير الدال في الصاد لمتحركة، ومنه قراءة " الزراط " في " الصراط" من قوله تعالى { اهدنا الصراط المستقيم }[78] بإشمام الزاي،[79] أي بتأثير جهر الراء في الصاد [80] المتحركة، فصارت زايا مفخمة.

الصوت السادس: ألف التفخيم

التفخيم صفة يمكن أن يتصف بها عدة أصوات عندما يحدث اتساع في الفراغ الفموي؛ نتيجة تراجع اللسان نحو الحلق وارتفاع مؤخرته نحو الطبق، إذ يحدث حينها تقعر في وسطه يجعل المسافة بينه وبين سقف الفم أكثر اتساعا، وأغلب ما يكون ذلك مع الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ).

والأصوات الصائتة موزعة ما بين أمامية تتأثر بحركة مقدمة اللسان، وخلفية تتأثر بحركة مؤخرة اللسان، إضافة إلى حركة الشفتين تمطيا واستدارة، فمع الأصوات الأمامية تكون الشفتان في حالة تمط وشد نحو جانبي الفم كما هو الحال مع الفتحة المرققة والكسرة وإمالة الفتحة نحو الكسرة، وأما الأصوات الخلفية فيناسبها أن تكون الشفتان في حالة استدارة وهو ما يكون مع الضمة والفتحة المفخمة.

والألف صائت طويل ناتج عن إعطاء الفتحة زمنا مضاعفا، والأصل في نطقها أن يكون الفم مفتوحا واللسان مرتاحا في قاع الفم، أما عند تفخيمها فيتراجع اللسان وترتفع مؤخرته نحو الطبق و تستدير الشفتان،وهذا يعني أن تفخيمها ضرب من الإمالة، إذ هو إمالة الفتحة نحو الضمة؛ أي نطقها في حالة وسط ما بين الفتحة والضمة، فهي إذن تنوع صوتي ثانوي(allophone).

والمعتاد أن يحدث ذلك عند وقوع الفتحة بعد الأصوات المطبقة الأربعة –كما ذكرنا– ثم بعد باقي أصوات الاستعلاء (ع، ق، خ)، إلا أن الألف المفخمة التي ذكرها سيبويه ضمن الأصوات المستحسنة ليس تفخيمها مشروطا بوقوعها مجاورة لأصوات الاستعلاء، بل قد تفخم مع غيرها أيضا. قال: " ..... وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة ".[81]

فهذه الألف إذن– وفق ما ذكر سيبويه – كانت شائعة في لسان الحجازيين، وليس بالضرورة أن تقع بعد حرف من حروف الاستعلاء – كما ذكرنا –فحتى لو قدّرنا أن تفخيم الصاد الواقعة قبل اللام قد طالها في لفظ " الصلاة "، فإننا لا نجد مثل ذلك الصوت في لفظي " الزكاة، والحياة "، ولا في ألفاظ أخرى رُسمت فيها الألف واوا في بعض المواضع من المصحف الشريف ليس لأصوات الاستعلاء وجود قبلها، مثل: "الربو = الربا " و" النجوة = النجاة " و" الغدوة = الغداة " و" مشكوة = مشكاة " و" منوة = مناة ".

وقد نقل ابن جني في المحتسب قراءة { مَابَقِيَمِنَٱلرِّبَوٰاْ }[82] بضم الباء وسكون الواو،[83] ثم ذكر أن في رسم الألف واوا دليل على ورود قراءتها مفخمة، قال :"والذي ينبغي أن يتعلل به في " الربو " بالواو

هو أنه فخم الألف انتحاء بها إلى الواو التي الألف بدل منها على حد قولهم: الصلاة والزكاة وكمشكاة .... وكأنه بيّنَ التفخيم فقوي الصوت فكان الواو أو كاد."[84] ومعنى كلامه أن في رسم الألف واوا في المصحف الشريف دليلا على تفخيمها، إذ لم يكن في الكتابة حينئذ رموز تعين الكاتب على تبيان ما يطرأ على الحروف من تغيير في درج الكلام، سواء في الإعراب رفعا ونصبا وجرا وجزما، أم في تنوعها الصوتي الثانوي تفخيما وترقيقا وهمزا وتسهيلا.... ونحو ذلك.

ومادامت ألف التفخيم سمة في لغة الحجازيين – كما ذكر سيبويه – فقد يكون رسمها واوا في المصحف الشريف هو استجابة لطلب الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أمر بنسخ المصحف المجموع في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ قال للكتبة – زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام – :" إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلغة قريش فإنما أُنزل بلسانهم".[85]

وقد لاحظت أن هذه الألف مازالت سارية في لسان أهل (دوما) من ريف دمشق العامرة بأرض الشام، إذ سمعتها منهم في عدة ألفاظ، منها لفظ (الباب) بإمالة الألف نحو الواو، ولا أستبعد وجودها في ألسنة عربية أخرى.

هذه إذن هي الأصوات الثانوية الستة المستحسنة عند سيبويه، التي تتفرع عن التسعة و والعشرين صوتا الأساسية التي تُبنى منها الكلمة العربية.

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

أولا: أن هذه الأصوات المستحسنة عند سيبويه هي تنوعات صوتية ثانوية لا يتغير بتغيرها المعنى، وهي متفرعة عن الأصوات الأساسية.

ثانيا: أن استحسان سيبويه إياها ليس خاصا به أوقائما على تذوقه الذاتي، بل هو وصف لما ظهر وشاع في البيئة اللغوية التي عاش فيها في القرن الثاني الهجري.

ثالثا: أن هذه الأصوات وإن كان مَنشؤها لهجيا، إلا أنه شاع استعمالها في اللغة الفصيحة كقراءة القرآن، وإنشاد الأشعار، ومواضع الجد من القول حتى غدت مألوفة في أسماعهم.

رابعا: أن حدوث هذه التنوعات الصوتية الفرعية، سببه انسياق الألسن نحو التوافق والانسجام الصوتي الذي تحكمه عملية التأثير والتأثر بين الأصوات في دَرَج الكلام.

خامسا: أن هذه الأصوات قد تراجع استعمالها في مستوى اللغة الفصيحة العامة نثرا وشعرا، إلا أنها مازالت محفوظة في القراءات القرآنية لكونها محكومة بالرواية، وفي مستوى اللهجات الخاصة.

الهوامش:

1. للفونيم أو الوحدة الصوتية عدة تعريفات أبرزها أنه أصغر وحدة صوتية يتغير بتغيرها المعنى. انظر: دراسة الصوت اللغوي، 174 وما بعدها.
2. انظر: دراسة الصوت اللغوي 200، والأصوات ووظائفها 144.
3. سر صناعة الإعراب 42/1.
4. انظر: كتاب العين 57/1، وكتاب سيبويه 431/4، وسر صناعة الإعراب 43/1
5. [1]انظر: كتاب سيبويه 431/4.
6. كتاب سيبويه 4/ 432، وانظر أيضا سر صناعة الإعراب 46/1.
7. انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 280/8، والإتقان في علوم القرآن 103/2.
8. انظر: كتاب سيبويه 4/ 432.
9. انظر: سر صناعة الإعراب 46/1، والرعاية 193.
10. شرح كتاب سيبويه للسيرافي 443/6.
11. انظر: دراسة الصوت اللغوي 316، والأصوات ووظائفها 57. ويرى بعض علماء الأصوات المحدثين أن أصول الثنايا تشارك اللثة في إخراج صوت النون، ويعدونه بذلك لثويا أسنانيا. انظر في ذلك ما قاله الدكتور كمال بشر في كتابه "علم الأصوات "187.
12. انظر: علم الأصوات 348.
13. انظر كتاب سيبويه 453/4، والتمهيد في علم التجويد 136، 137.
14. ʔ : رمز الهمزة في الأبجدية الصوتية الدولية.
15. لنا أن نسميه إبدالا؛ لأن صوت النون قد أُبدل به صوت الميم.
16. انظر: كتاب سيبويه 453/4، والتمهيد في علم التجويد 168.
17. انظر: الرعاية 267.
18. الرعاية 269.
19. التمهيد في علم التجويد 168.
20. كتاب سيبويه 454/4.
21. انظر: التمهيد في علم التجويد 171.
22. كتاب سيبويه 432/4.
23. انظر: كتاب سيبويه 433/4، وسر صناعة الإعراب 1/ 46، 69.
24. انظر: دراسة الصوت اللغوي 115، وعلم الأصوات 175.
25. لسان العرب 19/1.
26. تهذيب اللغة 687/15.
27. انظر: كتاب سيبويه 543/3، 554.
28. انظر: كتاب سيبويه 545/3، وشرح المفصل 115/9، والكشف 90/1، والنشر 408/1.
29. كتاب سيبويه 446/4.
30. انظر: اللغة العربية معناها ومبناها 53.

31. الأصوات اللغوية 90، 91 .
32. هذه الرمز (*) وضعته للدلالة على الهمزة المسهلة.
33. كتاب سيبويه 3/ 541.
34. سر صناعة الإعراب 1/ 49.
35. انظر: كتاب سيبويه 549/3، و431/4، والرعاية110.
36. انظر: الأصوات اللغوية 163 – 169، ودراسة الصوت اللغوي 301، 302.
37. لسان العرب (المقدمة) 22/1.
38. كتاب سيبويه 542/3.
39. انظر: النشر 1/ 382 – 389.
40. انظر: كتاب سيبويه 541/3، 542، والنشر 363/1 وما بعدها. ويفترض أن تكون تسعة، لكن المفتوحة بعد ضمة أو كسرة لا تسهل نحو الألف؛ لأن الألف لا تقع إلا بعد فتحة.
41. البقرة : 6.
42. ḏ : رمز صوت الذال في الأبجدية الصوتية الدولية.
43. الأنعام : 19.
44. ص: 8.
45. ʕ: رمز صوت العين في الأبجدية الصوتية الدولية.
46. النمل: 29.
47. x : رمز صوت الخاء في الأبجدية الصوتية الدولية.
48 الأحقاف: 32.
49 كتاب سيبويه 433/4.
50 انظر: السابق نفسه.
51 انظر: النشر: 30/2، وشرح الأشموني: 225/2.
52 النشر 32/2.
53 كتاب سيبويه 117/4.
54 الخصائص 143/2.
55 انظر: شرح المفصل 54/9.
56 صوت الفتح مفخم في مقابل الكسر ومرقق في مقابل الضم، فهو يوصف بالترقيق والتفخيم. انظر: شرح المفصل 54/9، والنشر 2/ 30.
57 انظر: شرح المفصل 54/9، وهمع الهوامع 84/3، وفي اللهجات العربية 60، واللهجات العربية نشأة وتطورا 200.
58 انظر: شرح المفصل 55/9، والنشر2/35.
59 انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية) 118 – 128 .
60 البقرة : 258 .
61 الإسراء: 32.

62 الرعد:24.

63 التوبة:12.

64 انظر: كتاب سيبويه 129/4.

65 انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 294/1، وإبراز المعاني 208 و219، وفي الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات القرآنية واللهجات العربية) 151 وما بعدها.

66 كتاب سيبويه 432/4.

67 ينظر: مقدمة كتاب العين 57/1، وكتاب سيبويه 433/4،وعلم الأصوات 302، واللغة العربية معناها ومبناها 79.

68 ينظر: كتاب سيبويه 434/4..

69 علم الأصوات 310.

70 ينظر السابق.

71 ينظر: شرحالمفصل125/10، 127،والممتع 656/2.

72 كتاب سيبويه 432/4.

73 السابق.

74 نفسه 117/4.

75 شرح المفصل 54/9، 55.

76 ينظر: الرعاية 218.

77 مثَّلٌ يُضرب لمن طال بعضَ ما يريد. والفصد هو جرح عرق ليسيل منه الدم فيشربوا منه. ينظر : شرح المفصل 55/9.

78 الفاتحة: 5.

79 ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه /20.

80 تُقرأ " الصراط " بالسين " السراط " على اصل الكلمة، وبإبدالها صادا بتأثير إطباق الطاء بعدها، وبإشمام الزاي . ينظر: الحجة السابق 20، 21.

81 كتاب سيبويه 4/ 432.

82 البقرة:278.

83 انظر المحتسب 236/1.

84 السابق.

85 الفهرست لابن النديم 37.

المصادر والمراجع:

1. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع؛ لأبي شامة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ب ت 2 – الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: مجمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، 1987/.
2. الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987م.
3. الأصوات ووظائفها، لمحمد منصف القماطي، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، 1986.

4. التمهيد في علم التجويد، لمحمد بم الجزري، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
5. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسن بن عبد البر، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي وآخرين، الدار البيضاء، 1982م.
6. 6 – التهذيب في اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
7. الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.8 –8 – الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
8. الخصائص،لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، بت.
9. دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1991.
10. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمّان، 2001.
11. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، 1993..
12. شرح الأشموني على ألفية بن مالك، لأحمد بم محمد عبد الكريم الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ب ت.
13. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.
14. شرح المفصل، لموفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، بت.
15. علم الأصوات، لكمال بشر، دار غريب، القاهرة، 2000.
16. الفهرست، لمحمد بن إسحاق بن النديم، مكتبة العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
17. في اللهجات العربية، لإبراهيم أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، بت .
18. كتاب سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
19. في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، لعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ب ت.
20. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م.
21. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ب ت .
22. –كتاب العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: هدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، 1984.
23. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.
24. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، 1956.
25. اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001
26. اللهجات العربية نشأة وتطورا، لعبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1990م.

27. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
28. الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، 1970م.
29. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بت.
30. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.